

لقاءات الصلاة

(اللقاء الثالث)

أ. أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

<http://tafaregdroos.blogspot.com> /!#

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

<http://www.muslimat.net>

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه هي حلقتنا الثالثة التي نجتمع فيها راغبين إلى الله أن يقبلنا، مُعتنين بشأن الصلاة.

تلك الصلاة :

• التي هي قُرّة عيون المحبين.

• وهي محكُّ أحوال الصادقين.

• وميزان أعمال السالكين إلى رحم المقتدين بالأنبياء والمرسلين.

وقد مرَّ معنا أنَّ هذه الصلاة عظمتها جميع الأنبياء، وعُرفوا بها، وكانت ملجأً للمستغفرين والتائبين: ﴿فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ﴾

وَحَرَّرَاكَ وَأَنَابَ ﴿^١

وكانت سبباً للنجاة: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾^٢

الصلاة العظيمة عُرف بها الأنبياء، والله عزَّ وجلَّ يقول في قصة زكريَّا عليه الصلاة والسلام: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ

قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴿^٣ بَشَّرْتَهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ!

إنها حياة هؤلاء الكُمَّل (الصلاة).

وهي أشرف أحوال الخلق، حكى الله عزَّ وجلَّ عن عيسى عليه الصلاة والسلام حين تكلم في المهد صبيًّا أنه قال:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي الْكَتَبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴿ البركة عظيمة.

﴿أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ ﴿ إنها حال الكُمَّل من الخلق ﴿ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ

حَيًّا ﴿^٤، فهي طريق إلى رضا الله مادام أنَّ الرُّوح مُتَّصِلَةٌ بالبدن، وهذا كان نهج الأنبياء ونهج من بعدهم: ﴿وَلَقَدْ

أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمْ

الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي ﴿^٥

^١ ص : ٢٤

^٢ الصافات : ٤٣-٤٤

^٣ آل عمران : ٣٩١

^٤ مريم : ٣٠-٣١

^٥ المائدة : ١٢

فيا ربِّ كُنْ معنا ونحن مؤمنين برسلك، طالبين منك العَوْن على إقامة الصلاة وعلى إيتاء الزكاة. ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ **فما أعظمها من معية، شرطها أن تكون ممن أقام الصلاة،** فالتوفيق من الله، والدُّل والانكسار من العبد. فنحن نعبدك يا ربِّ ونتذللُّ لك ونسألك أن تجعلنا ممن أقاموا الصلاة وآمنوا بالأنبياء وآتوا الزكاة وكنت معهم. ومن كنت معه، طابت دُنياه وحسُن له اللقاء، وهَدَيْتَهُ الصِّرَاطَ وحفظته من الهلاك؛ إنَّهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

كم هو عجيب هذا الأثر لإحسان الصَّلَاة وإقامتها أن يكون الله معك! والله عزَّ وجلَّ بعدما ذكر الأنبياء نبياً نبياً في سورة مريم وصفهم بصفة عظيمة التي هي التُّبُوَّة، وأثنى عليهم بقوله: ﴿ أُوتِيكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾^١، إنَّه الإيمان الذي يجعل العبد في حال دُلَّ يتمثله في الصلاة.

مفزع الأتقياء الصلاة

فاللهم اجعلها يسيرة، اجعلها في قلوبنا عظيمة؛ لأننا نخشى أن نكون من القوم الذين ذكرهم بعد هذه الآية فقال: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾^٢ والغِيُّ كما ذكر الطبري: وادي في جهنم - نعوذ بالله من النار - أضاعوا الصَّلَاةَ بعدما كانوا من ذرية الأولياء!

خوف شديد يجب أن يُصينا، ولا شيء يطمئنا لا لأنفسنا ولا لأبنائنا، فإنَّ الشهوات تقترح علينا بيوتنا، والتُّفوس من ضَعْفٍ إلى أضعف، واتباعها أظهر من الشمس، ومن المؤكد أنَّ اتِّباع الشهوات سببٌ لإضاعة الصَّلَاة، وإنَّ إضاعة الصَّلَاة سببٌ لاستمراء الشهوات، فالنَّقْصُ يَجْرُ النَّقْصُ، ويا حسرتنا على أنفسنا وعلى ذرارينا!.

فأللَّهُم اغفر لنا وارحمنا واجعلنا ممن نَهَجَ نَهَجَ الصَّادِقِينَ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وما فيه من أوامر، فإنَّ هذا القرآن العظيم وَصَفَ لَنَا الْأَوَائِلَ وَرَعَّبَنَا فِي أفعالهم، وَوَصَفَ لَنَا مِنْ خَلْفٍ مَنْ خَلَفَهُمْ وَكَانَ شَرًّا فِي اتِّبَاعِهِ، فنعوذ بالله من الخذلان، وَقَفْنَا اللَّهُ أَجْمَعِينَ بتعظيم شأن الصَّلَاةَ وَالْإِحْسَانَ فِي إِقامتها، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

^١ مريم : ٥٨

^٢ مريم : ٥٩

وإذا عرفنا هذه الحال من الأنبياء وأتباعهم، لابد أن نتأمل في مكانة هذه الصلاة التي حال الأنبياء معها بهذه الصورة: فهي أعظم الواجبات التي أوجبها الله على عباده وكلّ الأنبياء يشتركون في ذلك، وهي أجلّ الفرائض التي افترضها، فهي عماد الدين وأكد الأركان بعد الشهادتين، وهي الصلّة بين العبد وربّه، وهي أوّل ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة؛ فإن صلّحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسدت سائر عمله، وهي الفارقة بين المسلم والكافر؛ فإقامتها إيمان، وإضاعته كفرٌ وطغيان، فلا دين لمن لا صلاة له، ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة. فنعوذ بالله من الخذلان!

يقول الإمام أحمد رحمه الله في كتابه الصلاة - كما ذكر صاحب رسالة تعظيم الصلاة -: "لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب في الأفاق: "إنّ أهمّ أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها حفظ دينه، ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيّع، ولا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة، فكلّ مُستخفّ بالصلاة مُستهينٌ بها، فهو مُستخفّ بالإسلام مستهينٌ به، وإنّما حظّهم في الإسلام على قدر حظّهم من الصلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة".

إذن حظّ الإنسان من الإسلام على قدر حظّه من الصلاة، ورغبته في الإسلام على قدر رغبتة في الصلاة.

ثم قال: "فاعرف نفسك يا عبدالله، واحذر أن تلقى الله ولا قدر للإسلام عندك، فإنّ قدر الإسلام عندك كقدر الصلاة في قلبك، وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه و سلم أنّه قال: ((الصلاة عمود الدين))، ألسنت تعلم أنّ القُسطاط - الخيمة - إذا سقطت عموده سقطت، ولم يُتَنفَع بالطُّنب ولا الأوتاد، وإذا قام عمود القُسطاط انتفع بالطُّنب و الأوتاد؟ وكذلك الصلاة من الإسلام.

فانظروا -رحمكم الله- واعقلوا وأحكموا الصلاة، واتقوا الله فيها، وتعاونوا عليها، وتناصحوا فيها بالتعليم من بعضكم لبعض، والتذكير من بعضكم لبعض من الغفلة والنسيان".

و هذا ما أردناه بهذه الحلقات؛ أن نتناصح و نتذكر.

¹ رواه أبو نعيم الفضل بن دكين في الصلاة وقال الألباني ضعيف، لكن ورد في حديث الترمذي: ((رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة...)) قال: هذا حديث حسن صحيح.

يقول الإمام أحمد: "فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أمركم أن تعاونوا على البرِّ والتقوى، والصَّلَاةُ أفضلُ البرِّ، وجاء الحديث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يُسْأَلُ عَنْ صَلَاتِهِ، فَإِنْ تَقَبَّلَتْ مِنْهُ تُقْبَلُ مِنْهُ سَائِرُ عَمَلِهِ))^١، فصلاؤنا آخر ديننا، وهي أوَّل ما تُسأل عنه غدًا من أعمالنا يوم القيامة، فليس بعد ذهاب الصَّلَاةِ إسلام ولا دين إذا صارت الصَّلَاةُ آخر ما يذهب من الإسلام، فكلُّ شيءٍ يذهب آخره فقد ذهب جميعه". انتهى كلامه رحمه الله.

بهذا تبين الخوف الشديد من ضياع الصَّلَاةِ، وأننا لا بدَّ أن يؤكد بعضنا على بعض أهمية الصَّلَاةِ، وأهمية إقامتها، ويُعلم بعضنا بعضًا كيف يكون الإحسان فيها، إلى أن نتوصَّل جميعًا إلى صلاةٍ يقبلها الله؛ تكون اجتمعت فيها العبوديات، وإلى قلوبٍ استفادت من الصَّلَاةِ فامتألت إيمان، لكنَّ الغفلة هي ما نخشاه! وقسوة القلب في الحقيقة هي الداء، وليس لنا إلا أن نستغيث بالله في أن يجعل إقبال قلبنا عليه وحضوره بين يديه صدقًا، واشتغاله بالذكر والشُّكر أثناء الصَّلَاةِ، نرجو من الله أن نكون ممن فعل وانتفع.

ولا خلاف على أهمية الصَّلَاةِ لكنَّ الإشكال في الاستهانة بعد العلم.

إنَّ التهديد العظيم الذي أتى في القرآن للمتهاونين في الصَّلَاةِ يجعل الإنسان يفرغ؛ فكما مرَّ معنا في سورة مريم: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ﴾^٢، وما يوصف لنا في سورة المدثر من حال يجعلنا نفرغ من الإهمال في الصلاة.

يقول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^٣ بما كَسَبَتْ من أعمال الشرِّ رهينة، موثوقة، لزم عنقها، وغلَّ رقبتهما، ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾^٤ فإنَّهم الطُّلقاء؛ الذين هم في جنَّات النعيم ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ﴾^٤ عَنِ الْمُجْرِمِينَ^٤ وهذه حال من النعيم الذي يعيشه أهل الجنَّة، فيتساءلون عن قوم لم يسلكوا الطريق المستقيم، ماذا بلغ حالهم؟ لما تمَّت لهم

^١ مصنف ابن أبي شيبة، وله شاهد في صحيح الجامع؛ حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- : (أَوَّلُ مَا يُجَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، فَإِنَّ صَلَاحَتَ صَلَاحٍ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ، فَسَدَتْ سَائِرُ عَمَلِهِ)، قال الألباني: حديث صحيح.

^٢ المدثر: ٣٨

^٣ المدثر: ٣٩

^٤ المدثر: ٤٠-٤١

الرَّاحَةِ، أَفْضَتْ بِهِمْ إِلَى الْمَحَادَثَةِ، فَسَأَلُوا عَنِ الْمَجْرِمِينَ، وَكَمَا وَرَدَ فِي مَوَاطِنٍ أُخْرَى: أَنَّهُمْ اطَّلَعُوا عَلَيْهِمْ فَوَجَّهُوا لَهُمْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةَ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^١ فكان جوابهم: الذي أدخلنا سقر والدَّنب العظيم الذي وقعنا فيه، قالوا: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾^٢ وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَالْأَمْرُ الْمُهْمُ ﴿٤٦﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾^٣ فالاستهانة بالصَّلَاةِ أهم سبب لها عدم التَّفكير في لقاء الله؛ وإلَّا العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر، فمن حَسُنَتْ صَلَاتُهُ انْتَفَعَ بِهَا يَوْمَ أَنْ يَلْقَى رَبَّهُ.

روى الإمام أحمد وابن حبان والطبراني بإسناد جيّد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: ((مَنْ حَافِظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي بَنِي خَلْفٍ))^٤ فمن فَكَّرَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَفِي ظُلْمَتِهِ، وَفِي مَهْلِكَتِهِ، وَفِي الْاِخْتِبَارَاتِ وَالْامْتِحَانَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَكُونُ فِيهِ؛ اعْتَنَى بِالنُّورِ وَالْبُرْهَانِ وَالنَّجَاةِ، وَمَنْ غَفَلَ عَنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَغَفَلَ عَمَّا يَكُونُ فِيهِ، وَاشْتَغَلَ بِمَالِهِ أَوْ مُلْكِهِ أَوْ رِئَاسَتِهِ أَوْ تِجَارَتِهِ؛ كَانَ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي بَنِي خَلْفٍ، فَهَؤُلَاءِ شَغَلَهُمْ عَنِ دِينِهِمُ الَّذِي طَرِيقُهُ الصَّلَاةُ؛ الْمَالُ مِثْلُ قَارُونَ، وَالْمَلِكُ مِثْلُ فِرْعَوْنَ، وَالرِّئَاسَةُ مِثْلُ هَارُونَ، وَالتِّجَارَةُ مِثْلُ أَبِي بَنِي خَلْفٍ، شَغَلَتْهُمْ عَنِ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَصِدْقِ اللِّقَاءِ.

فَلذَلِكَ مِنْ أَرَادَ أَنْ يُعَظَّمَ الصَّلَاةَ، فَعَلِيهِ أَنْ يَتَذَكَّرَ شَأْنَ الدُّنْيَا، وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ تَوَوَّلَ، وَشَأْنَ الْآخِرَةِ وَكَيْفَ يَكُونُ الْقُدُومُ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَعَاظَمَ نَفْسَهُ وَأَعْجَبَ بِحَالِهِ غَفَلَ عَنِ تَعْظِيمِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ، وَغَفَلَ عَنِ تَعْظِيمِ شِعَائِرِهِ، وَأَهْمَلَ أَوَّلَ مَا أَهْمَلَ الصَّلَاةَ.

عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ: خَطَبْنَا عُتْبَةَ بْنَ عَزْوَانَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَنْتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

^١ المدثر: ٤٢

^٢ المدثر: ٤٣-٤٥

^٣ المدثر: ٤٦

^٤ "مسند أحمد" (مُسْنَدُ الْمُكْتَبِينَ مِنَ الصَّخَايَةِ / ذِكْرُ الصَّلَاةِ يَوْمًا فَقَالَ مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ / ٦٥٤٠)، "سنن الدارمي" (كتاب الرقاق / باب في

الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ / ٢٧٢١)

"أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتْ بِصَرْمٍ وَوَلَّتْ حَدَاءً وَمَ يَبْقُ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا وَإِنَّكُمْ مُتَتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بَحَضَرْتُمْ فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا وَ وَاللَّهِ لَتُمْلَأَنَّ أَفْعَجِبْتُمْ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصَارِيحِ الْجَنَّةِ مَسِيرُهُ أَرْبَعِينَ عَامًا وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٍ مِنَ الرَّحَامِ وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى فَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا فَالْتَفَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ فَاتَزَّرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَزَّرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةً قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا فَسَتَخْبِرُونَ وَجُرِّيُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا".^١ رواه مسلم.

والشاهد: حال الدنيا نهايتها خوف الإنسان من أن يكون عظيم في نفسه و هو عند الله صغير!

فنعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا.

^١ "صحيح مسلم" - (إني لأول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله/٢٩٦٧)